جمهورية مصر العربية	**٤ ربيع أول ١٤٤١هـ**
وزارة الأوقاف	**١ نوفمبر ٢٠١٩م**

(١)

حياة النبي (صلى الله عليه وسلم)
أنموذج تطبيقي لصحيح الإسلام

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيدَنا ونبيَّنا مُحَمّدًا عَبدُه وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيهِ وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ .

وبعد :

فإن الله (عز وجل) قد بعث رسوله محمدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هاديًا وبشيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، برسالةٍ خاتمةٍ عالميةٍ صالحةٍ ومصلحةٍ لكل زمان ومكان، فاستوجب ذلك أن يكون رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) في أقواله، وأفعاله ، وجميع أحواله أنموذجًا تطبيقيًّا لصحيح الإسلام ، ولا عجب في ذلك ، فقد كان (صلى الله عليه وسلم) يلتزم منهج القرآن في علاقته مع ربه ، وعلاقته مع الناس كلهم ، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم؛ لذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن خلق النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قالت : (كَان خُلقُه القُرآن).

وإن المتدبر لسيرة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يجد أنه كان خير أسوة وقدوة في كل أحواله ، وأقواله ، وأفعاله، ومن ذلك: صدقه و أمانته (صلى الله عليه وسلم) : فلقد كان (صلى الله عليه وسلم) صادقًا أمينًا طيلة حياته ، حتى لُقبَّ بين قومه بالصادق الأمين ، قبل بعثته ، وفي ذلك يقول شوقي:

لقبتموهُ أمينَ القومِ في صغرٍ وما الأمينُ على قولٍ بمتّهمِ

وعندما استدعى هرقل – ملك الروم – أبا سفيان بن حرب – قبل إسلامه – ليسأله عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، دار بينهما حوار طويل ، جاء فيه أن هرقل قَالَ لأبي سفيان : هل كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قال أبو سفيان: لاَ، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قال أبو سفيان: لاَ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لاَ نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا، – أي: أننا معه في عهد لا ندري ما يمكنه أن يصنع بنا فيه– ثم قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الكَلِمَةِ ؛ والمعنى أنني لم أجد كلمة أستطيع أن أتقوَّل بها على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سوى هذه الكلمة .

ولقد ظهر خلق الأمانة جليًّا واضحًا في أعلى صوره وأبهى معانيه في شخص النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة الهجرة المباركة ، حيث أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن ينام في فراشه ، وأن ينتظر ليرد الأماناتِ المودعة عنده إلى أهلها، رغم أنهم ناصبوه العداء ، وأخرجوه، وآذوه، وآذوا أصحابَه (رضوان الله عليهم)، وأخذوا منهم كل ما يملكون ؛ ذلك لأن المؤمن لا تحل له الخيانة حتى مع أعدائه، والله تعالى يقول:{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ).

وفاؤه (صلى الله عليه وسلم): **فقد كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أوفى الناس** ، فلم يتنكر يومًا لأحد، ولم ينس يومًا فضل أحد، وكافأ كل صاحب جميل على جميله ، فقد قال (صلى الله عليه وسلم) قبل وفاته : (مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ ، مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ).

ومن مظاهر وفائه (صلى الله عليه وسلم) ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) لأم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها)؛ فقد كان محبًّا ومقدرًا ووفيًّا لها في حياتها،

وبعد وفاتها ، يقول (صلى الله عليه وسلم) موضحا مكانتها: (مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ (عَزّ وَجَلّ) خَيْرًا مِنْهَا ، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النّاسُ ، وَصَدّقَتْنِي إِذْ كَذّبَنِي النّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ (عَزّ وَجَلّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ) ، وتقول السيدة عائشة (رضي الله عنها) : " مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ .

ومنها: وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) مع غير المسلمين، ففي يوم بدر قال (صلى الله عليه وسلم): (لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بنُ عَدِيٍ حَيًّا، فَكَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ الأسْرَى لَأَطْلَقْتُهُمْ) ، وكان للمطعم جميل عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيث دخل (صلى الله عليه وسلم) مكة في جواره بعد عودته من رحلة الطائف .

ومنها -أيضا- وفاؤه (صلى الله عليه وسلم) مع أعدائه حتى في وقت الحرب ، فعن حُذَيْفَةَ بْن الْيَمَانِ (رضي الله عنه) ، قَالَ : مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، قَالُوا : إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ، فَقُلْنَا : مَا نُرِيدُهُ ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (انْصَرِفَا ، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ) .

كما كان (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا فريدًا ، وأسوة طيبة في تعامله مع أزواجه ، فقد عاش النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مع أزواجه حياةً طيبة، تجلت فيها كل مظاهر المودة، والرحمة ، والتواضع ولين الجانب ، فلَم يتعالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على أزواجه، ولم يترفَّع عليهن ، بل أحسن معاملتهن جميعًا، منطلقًا في ذلك كله من قول الله (عز وجل) : {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ}، ومن قوله سبحانه:{وَمِنْ آيَاتِهِ

أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

فكان (صلى الله عليه وسلم) زوجًا عطوفًا ، يتلطف مع نسائه ، وفي مشهد إنساني رائع لزوج حنون مع زوجه، يرفع النبي (صلى الله عليه وسلم) أثر البكاء عن أم المؤمنين صفية(رضي الله عنها) ، فَيمْسَحُ بِيَدَيْهِ الشريفتين عَيْنَيْهَا، ويهدئ من روعها، يقول أَنَس بْن َمالِك (رضي الله عنه): (كَانَتْ صَفِيَّةُ مَعَ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَهَا، فَأَبْطَأْتُ فِي الْمَسِيرِ ، فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَهِيَ تَبْكِي وَتَقُولُ : حَمَلْتَنِي عَلَى بَعِيرٍ بَطِيءٍ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهَا، وَيُسْكِتُهَا) .

كما كان (صلى الله عليه وسلم) أسوة وقدوة طيبة في تعامله مع أبنائه وأحفاده ، فما أعظمه (صلى الله عليه وسلم) أبًا وجدًا رحيمًا ، يحمل لأبنائه وأحفاده كلَّ معاني الحب والعطف والرحمة ، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشْبَهَ سَمْتًا وَدَلاًّ وَهَدْيًا بِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ، قَالَتْ : وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) ، قَامَ إِلَيْهَا ، فَقَبَّلَهَا ، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ...).

وعن أبي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) ، قَالَ : قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا ، فَقَالَ الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، ثُمَّ قَالَ : (مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ) ، وسجد (صلى الله عليه وسلم) يومًا ، فأطال السجود ، فلما قضى الصلاة ، قَالَ النَّاسُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَقَدْ سَجَدْتَ فِي صَلاَتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً

مَا كُنْتَ تَسْجُدُهَا ، أَفَشَيْءٌ أُمِرْتَ بِهِ ؟ أَوْ كَانَ يُوحَى إِلَيْكَ؟ ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم): (كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ ؛ وَلَكِنِ ابْنِي ارْتَحَلَنِي ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ) .

على أننا نؤكد أن هذا لم يكن خاصًّا بأبنائه وأحفاده فقط ؛ وإنما كان منهجًا يطبقه (صلى الله عليه وسلم) مع الجميع ، لا يفرق بين أحدٍ منهم ، فكان يحسن إلى الجميع ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) ، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُهُ وَالحَسَنَ ، وَيَقُولُ : (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا، فَأَحِبَّهُمَا) ، وهذا أنس بن مالك (رضي الله عنه) ، يقول : " خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي أُفٍّ قَطُّ ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ ، لِمَ صَنَعْتَهُ؟ ، وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ ، لِمَ تَرَكْتَهُ؟ " .

وكذلك كان النبيُّ (صلى الله عليه وسلم) مثلا يحتذى في حسن معاملته لأصحابه ، فكان يشاركهم في أفراحهم، وأحزانهم ، ويتفقد غائبهم، ويعود مريضهم، ويهتم بشئونهم ، ويراعي مشاعرهم في كل شئون حياتهم ، فعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ : قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ (رضي الله عنه): أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟ قَالَ : نَعَمْ ، كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، فَإِذَا طَلَعَتْ قَامَ، وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ ، فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَيَضْحَكُونَ ، وَيَتَبَسَّمُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) .

أقولُ قولِي هذَا ، وأستغفرُ اللهَ لِي ولكُمْ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاَ شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ سيدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عبدُه ورسُولُه ، اللهُمَّ صَلِّ وسلمْ وَبارِكْ عليهِ ، وَعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ ، وَمن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلىَ يومِ الدِّين .

إخوة الإسلام:

كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا تطبيقيًّا لصحيح الإسلام في إنسانيته ، وأخلاقه، كان كذلك (صلى الله عليه وسلم) أنموذجًا في **وسطيته واعتداله**: فإن المتأمل في أحكام الشريعة التي دعا إليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يرى منهج الاعتدال والوسطية واضحًا في كل مجالاتها، تقول أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) : (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِذَا كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عنه) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ).

ومن أجل المحافظة على تلك الوسطية ، وذلك الاعتدال حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من كل مظاهر الغلو، وخاصة الغلو في التدين، فأنكر على من بالغ من أصحابه (رضوان الله عليهم) في التعبد مبالغةً تخرجه عن حدّ الاعتدال ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) .

فما أحوجنا إلى التأسي برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والاقتداء بهديه، واقتفاء أثره في نشر رسالة النور والهداية صافية رائقة كما أنزلها الله تعالى إلى الخلق أجمعين ، باللين، والرفق، والرحمة، وتأليف القلوب ، فرسالة الإسلام عدل كلها، رحمة كلها، تسامح كلها، نفع كلها ، إنسانية كلها.

اللهم ارزقنا حبك، وحب رسولك (صلى الله عليه وسلم) ، وكل عمل يقربنا إلى حبك، واجعل مصرنا أمنا أمانا، سلما سلامًا، وسائر بلاد العالمين .